الباب الأول
الأنصـــار

أصل تسميتهم بالأنصار :

سمى الأنصار بذلك لأنهم هم الذين نصروا الإسلام ورسوله ﷺ ، ودعوته ، وفتحوا ديارهم وقلوبهم له ، وظلوا بجوار رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين من أهل مكة يعضدوهم بكل ما لديهم من قوة وإمكانيات ، حتى أظهر الله تعالى دينه ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

وقد ذكر أن الله تعالى هو الذى سمّاهم بالأنصار وذلك قياساً على أصحاب عيسى من الحواريين فقال تعالى فى سورة « الصف »[1] **﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾** .

كما يقول الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة « التوبة »[2] .

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ .

وقد ذكر اسم الأنصار فى أحاديث عديدة لرسول الله ﷺ أوردناها فى هذه الدراسة[3] .

---

(١) آية ١٤

(٢) آية ١٠٠

(٣) سنذكرها إن شاء الله تعالى فى مناقب الأنصار فى هذا الباب .

هذا وقد أخلص الأنصار للدعوة الإسلامية إخلاصاً عظيماً حتى أنهم لم يطلبوا لأنفسهم شيئاً من متاع الدنيا وقد وثق رسول الله « ﷺ » فى إيمانهم وثوقاً شديداً حتى عندما فتحت مكة ووجه جيش المسلمين لمحاربة هوازن فى غزوة حنين آثر مسلمى الفتح بعطاياه ليستميلهم للإسلام ولم يعطى الأنصار شيئا فلما أحس ﷺ بما فى نفوسهم قال لهم (يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع الناس بالشاه والبعير وترجعون برسول الله ﷺ إلى رحالكم ؟ قالوا : رضينا يا رسول الله بك حظاً وقسماً ! فقال ﷺ : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار[1] .

نسب الأنصار :

والأنصار هم الأوس والخزرج من سكان المدينة « يثرب » ، ويعود أصلهم إلى اليمانية .

وينسب الأوس والخزرج إلى حارثه بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الأسد « وقيل الأزد » بن الغوث بن النبيت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

فالأوس والخزرج هما ابنان لحارثه بن ثعلبه ، وأمهما هى : قيلة بنت كاهل بن عذره ابن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعه ، ذكر ذلك ابن هشام بينما ذكر ابن حزم أنها : قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنه بن عمرو مزيقياء .

وقد أنجب الخزرج بن حارثه : خمسة نفر تكونت منها قبائل وبطون الخزرج كلها[2] وهم : جشم ، وعوف ، والحارث ، وعمرو ، وكعب أبناء الخزرج بينما ولد الأوس بن حارثه : « مالك بن الأوس » ومن مالك تفرقت قبائل الأوس وبطونها كلها .

وبطون الخزرج هى :

(أ) بنو عوف بن الخزرج : ومنهم بنو سالم ، وبنو غنم بن عوف .

(ب) بنو عمرو بن الخزرج : ومنهم بنو النجار .

(١) انظر فى ذلك طبقات ابن سعد جـ ٢ القسم الأول ص ١٠٨ — ١١٣ ، وأيضا انظر الواقدى المغازى جـ ٣ ص ٨٨٥ .

(٢) ابن هشام . السيرة جـ ١ ص ٢٣٨ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ابن حزم . الجمهرة جـ ٣٣٢ وانظر أيضا مادة (مأرب) فى معجم البلدان لياقوت الحموى مج ٥ ص ٣٤ — ٣٨

(جـ) بنو جشم بن الخزرج : ومنهم بنو زريق بن عامر بن زريق ، وبنو سلمه بن سعد ، وبنو أدى بن سعد .

(د) بنو الحارث بن الخزرج : ومنهم بنو خدره ، وبنو خداره وغيرهم .

(هـ) بنو كعب بن الخزرج : ومنهم بنو ساعده بن كعب بن الخزرج .

أما بطون الأوس فهى :

(أ) بنو عوف بن مالك بن الأوس :

وهم أهل قباء ، ومنهم بنو عمرو بن عوف ، ومنهم عده بطون .

(ب) بنو عمرو بن مالك بن الأوس .

وهم النبيت ، ومنهم ظفر وهو كعب بن الخزرج بن عمرو بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج .

وبنو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج .

(جـ) بنو مرة بن مالك بن الأوس .

وهم الجعادرة : بنو سعد بن مرة ، وبنو عطيه ، وبنو أمية ، وبنو وائل[1] .

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٧٠ ــ ٤٧٢ وانظر أيضاً المعارف لابن قتيبة ص ١١٠ ، ١١١

المدينة « يثرب »

والمدينة « يثرب » هى التى كان يقطنها الأنصار ، وهى التى استقبلت رسول الله « ﷺ » وصحابته ، وظل بها حتى وفاته « ﷺ » حيث عاد إليها بعد فتح مكة ليلقى ربه ويدفن فيها .

ويصف ياقوت الحموى مدينة « يثرب » قائلاً[1] : « وهى مدينة الرسول « ﷺ » ... أما قدرها فهى فى مقدار نصف مكة ، وهى حرّة سبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه ، فى نخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار عليها العبيد ... وقباء خارج المدينة على نحو ميلين إلى ما يلى القبلة ، وهى شبيهة بالقرية ، وأُحُد جبل فى شمال المدينة ، وهى أقرب الجبال إليها مقدار فرسخين[2] ، وبقربها مزارع فيها نخيل وضياع لأهل المدينة ، ووادى العقيق فيما بينها وبين الفروع ... وأعذب مياه تلك الناحية آبار العقيق) .

ثم يضيف ياقوت قائلاً[3] : (ذكر ابن طاهرة بإسناده إلى محمد بن اسماعيل البخارى قال : المدينى هو الذى أقام بالمدينة و لم يفارقها والمدنى الذى تحول عنها وكان منها ، والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول مدنى مطلقاً وإلى غيرها من المدن مدينى للفرق لا لعله أخرى وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضا مدينىّ ، وقال الليث : المدينة اسم لمدينة رسول الله خاصة والنسبة للإنسان مدنى ، فأما العير ونحوه فلا يقال إلا مدينىّ ...)

ثم يذكر لنا ياقوت أسماء المدينة فيقول[4] (ولهذه المدينة تسعة وعشرون اسما ، وهى : المدينة ، وطيبة ، وطابة ، والمسكينة ، والعذراء ، والجابرة ، والمحبة ، والمحببة ،

---

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٨٢ .

(٢) الفرسخ : ثلاثة أميال أو ستة ، لسان العرب لابن منظور جـ ٥ ص ٣٣٨١ .

(٣) نفس المرجع

(٤) المرجع السابق ص ٨٣ .

والمحبورة ، ويثرب ، والناجية ، والموفية ، وأكّاله البلدان ، والمباركة ، والمحفوفة ، والمسلمة ، والمجنة ، والقدسية ، والعاصمة ، والمرزوقة ، والشافية ، والخيرة ، والمحبوبة ، وجابرة ، والمختارة ، والمحرمة ، والقاصمة ، وطابا ، وروى فى قول النبى ﷺ : ﴿ رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ﴾ ؛ قالوا : المدينة ومكة)[1] .

ويستطرد ياقوت ليذكر لنا حكّام المدينة قبل الإسلام فيقول : (وكان على المدينة وتهامة فى الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يجبى خراجها وكانت قريظة والنضير اليهود ملوكاً حتى أخرجهم منها الأوس والخزرج من الأنصار .. وكانت الأنصار قبل تؤدى خراجاً إلى اليهود ، ولذلك قال بعضهم :

نؤدى الخرج بعد خراج كسرى وخرج بنى قريظة والنضير

نبذة تاريخية عن نشأة المدينة :

أما عن نشأة المدينة فيخبرنا ياقوت الحموى فى هذا الصدد أن العماليق هم أول من عمروها ثم شاركهم اليهود فى ذلك ثم الأوس والخزرج . فيقول[2] : (وكان أول من زرع بالمدينة وإتخذ بها النخل وعمّر بها الدور والآطام وإتخذ بها الضياع العماليق وهم بنو عملاق بن أرفشخد بن سام بن نوح ، عليه السلام وقيل فى نسبهم غير ذلك ... ونزلت اليهود بعدهم الحجاز وكانت العماليق ممن إنبسط فى البلاد فأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز كله إلى الشام ومصر .. ، وكان ساكنوا المدينة منهم بنو هف وسعد بن هفان وبنو مطرويل وكان ملك الحجاز الأرقم بن أبى الأرقم) .

ثم يستطرد ياقوت ليذكر لنا سبب نزول اليهود المدينة فيقول[3] :

(وكان سبب نزول اليهود المدينة وأعراضها أن موسى بن عمران ، عليه السلام ، بعث إلى الكنعانيين حين أظهره الله تعالى على فرعون فوطىء الشام وأهلك من كان بها منهم ثم بعث بعثاً آخر إلى الحجاز إلى العماليق وأمرهم أن لا يستبقوا أحداً ممن

---

(١) وقد روى ذلك أيضا البيهقى فى دلائل النبوة جـ ٢ ص ٢٤٢ .

(٢) معجم البلدان ج ٥ ص ٨٤ .

(٣) نفس المرجع .

بلغ الحلم إلا من دخل فى دينه ، فقدموا عليهم فقاتلهم فأظهرهم الله عليهم فقتلوهم وقتلوا ملكهم الأرقم وأسروا إبنا له شاباً جميلاً كأحسن من رأى فى زمانه فضنّوا به عن القتل وقالوا : نستحييه حتى نقدم به على موسى فيرى فيه رأيه ، فأقبلوا وهو معهم وقبض الله موسى قبل قدومهم فلما قربوا وسمع بنو إسرائيل بذلك تلقوهم وسألوهم عن أخبارهم فأخبروهم بما فتح الله عليهم ، قالوا : فما هذا الفتى الذى معكم ؟ فأخبروهم بقصته ، فقالوا : إن هذه معصية منكم لمخالفتكم أمر نبيكم ، والله لأدخلتم علينا بلادنا أبداً ، فحالوا بينهم وبين الشام ، فقال ذلك الجيش : ما بلد إذ منعتم بلدكم خير لكم من البلد الذى فتحتموه وقتلتم أهله فإرجعوا إليه ، فعادوا إليها فأقاموا بها فهذا كان أول سكنى اليهود الحجاز والمدينة ، ثم لحق بهم بعد ذلك بنو الكاهن ابن هارون عليه السلام ، فكانت لهم الأموال والضياع بالسافلة) .

أما عن قريظة والنضير فيقول لنا ياقوت[1] :

(.. ثم إن الروم ظهروا على الشام فقتلوا من بنى إسرائيل خلقاً كثيراً فخرج بنو قريظة والنضير وهَدَل هاربين من الشام يريدون الحجاز الذى فيه بنوا اسرائيل ليسكنوا معهم ، فلما فصلوا من الشام وجّه ملك الروم فى طلبهم من يردّهم فأعجزوا رسله وفاتهم وانتهى الروم إلى ثمد بين الشام والحجاز فماتوا عنده عطشاً فسمى ذلك الموضع ثمد الروم) .

ثم يقول ياقوت أيضا : (وذكر بعض علماء الحجاز من اليهود أن سبب نزولهم المدينة أن ملك الروم حين ظهر على بنى إسرائيل وملك الشام خطب إلى بنى هارون وفى دينهم أن لا يزوّجوا النصارى فخافوه وأنعموا له وسألوه أن يشرّفهم . بإتيانه ، فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز وأقاموا بهم ، وقال آخرون : بل علماؤهم كانوا يجدون فى التوراة صفة النبى ﷺ وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرّتين ، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصاً منهم على إتباعه ، فلما رأوا تيماء وفيها النخل عرفوا صفته وقالوا : هو البلد الذى نريده ، فنزلوا وكانوا أهله حتى أتاهم تُبعٌ فأنزل معهم بنى عمرو بن عوف ، والله أعلم أى ذلك كان) .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٤ .

ثم يستطرد ياقوت فى ذكر قدوم الأوس والخزرج ليذكر أنهم قدموا يثرب عندما حدث فى مأرب سيل العرم فنزلت الأنصار بهم ، وهم أبناء الأوس والخزرج ؛ ابنا حارثه بن ثعلبه بن عمرو بن عامر بن حارثه بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن من الأزد[1] . وقيل أن أمهم هى : قيلة بنت هالك بن عذره من قضاعة ، وقيل : هى قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد من قضاعة[2] ولذلك سموا « بنو قيلة » وقد ظلوا فى مكانهم فى ضنك من العيش .

وقد كان ملك اليهود (الفيطون) يدين له الأوس والخزرج وكان له فيهم سُنّة ألا تزّوج امرأة منهم إلا أدخلت عليه قبل زوجها ، حتى إذا زوّجت أخت لمالك بن العجلان ابن زيد السلمى الخزرجى ، خرجت ليلة زفافها على مجلس قومها كاشفة عن ساقيها وأخوها « مالك » فى المجلس فلما استنكر عليها ما فعلت استثارت حميته ضد ما ينوى الملك أن يفعل بها فاتفق معها أن يدخل مع النساء اللائى سيزفّونها متنكراً حتى إذا خرجن خرج على الملك وضربه بالسيف ضربة قتله فيها ثم هرب إلى الشام حيث قدم على ملك من ملوك غسان يقال له (أبو جبيلة) ــ وقيل فى بعض الروايات أنه قصد اليمن إلى تبعّ الأصغر بن حسان ــ فشكا له ما كان يصنع (الفيطون) بنسائهم وذكر له أنه يخاف العودة حتى لا ينتقم اليهود منه .

فعاهده (أبو جبيلة) أن لا يقرب امرأة أو يمس طيبا أو يشرب خمرا إلا بعد أن يسير إلى المدينة ويذل اليهود فيها ، فخرج مع عدد كبير متظاهراً أنه يريد اليمن ، حتى إذا قدم المدينة أرسل للأوس بكتمان ذلك حتى لا يتحصن اليهود فى آطامهم وحصونهم . ثم أرسل إلى وجوه اليهود يدعوهم إلى طعامه ليصلهم ويكرمهم ، فجاءه وجوههم وأشرافهم مع كل منهم خاصته وحشمة ، فلما اكتمل عددهم أدخلهم فى خيامه حيث قتلهم عن آخرهم وبذلك صارت الأوس والخزرج أعز أهل المدينة وانتصروا على اليهود وأصبح لهم الأموال والآطام[3] .

---

(١) انظر أيضا مادة « مأرب » فى معجم ياقوت ج ٥ ص ٣٤ ــ ٣٨ .

(٢) انظر نسب الأوس والخزرج فى نفس الباب وما ذكره ابن هشام وابن حزم فى نسب (قيلة) .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٨٥ مادة (مدينة يثرب) .

ثم انصرف « أبو جبيله » عائداً إلى الشام وقد (ذلّل الحجاز والمدينة للأوس والخزرج فعندما تفرقوا فى عالية المدينة وسافلتها فكان منهم من جاء إلى القرى العامرة فأقام مع أهلها قاهراً لهم ، ومنهم من جاء إلى عَفاً من الأرض لا ساكن فيه فبنى فيه ونزل ثم اتخذوا بعد ذلك القصور والأموال والآطام ...)[1]

دعوة رسول الله ﷺ الأنصار إلى الإسلام

كان الأنصار ـــ مثلهم فى ذلك مثل معظم الأميين فى عصرهم ـــ على الكفر والشرك فعبدوا الأوثان والأصنام ، وكانوا مثلهم مثل قبائل العرب يفدون على مكة فى المواسم حيث الحج والتجارة .

ولما وجد النبى ﷺ أذى قريش له ولأصحابه خاصة بعد وفاة زوجه وحبيبته وأم أولاده خديجة رضى الله عنها ، وبعد وفاة عمه أبو طالب ، أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة هربا بدينهم وظل هو بمكة يدعو قبائل العرب فى المواسم إلى الإسلام والتوحيد والإيمان بالله وبأنه رسول الله « ﷺ » مرسل إليهم ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه[2] فى الوقت الذى كان يتبعه عمه أبو لهب لينفّر القبائل من دعوته ويصفه بالكذب حتى يصرفهم عنه[3] .

وفى هذا الصدد يقول ابن سعد فى طبقاته أن النبى « ﷺ » ظل بمكة (ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ثم أعلن فى الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافى المواسم كل عام يتّبع الحاج فى منازلهم فى المواسم بعكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يُبلِّغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحد ينصره ولا يجيبه حتى أنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذلّ لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكاً فى الجنة » . وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فإنه صابىء[4] كاذب فيردون على رسول الله

---

(١) نفس المرجع ص ٨٦ .

(٢) ابن هشام : السيرة جـ ٢ ص ٣١ (٣) المرجع السابق .

(٤) صابىء : يقال صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين غيره أى خرج من دين قريش إلى الإسلام هكذا كانت العرب تسمى النبى « ﷺ » .

« ﷺ » أقبح الرد ، ويؤذونه ويقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، ويكلمونه ويجادلونه ويدعوهم إلى الله ويقول : « اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا » . فكان من سُمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعه ، ومحارب بن خصفه ، وفزاره ، وغسان ، ومُره ، وحنيفه ، وسليم ، وعبس ، وبنو نضر ، وبنو البكاء ، وكنده ، وكلب ، والحارث بن كعب ، وعذره ، والحضارمه ، فلم يستجب منهم أحد)[1].

ومن بين الذين دعاهم رسول الله ﷺ سويد بن صامت من بنى عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس من الأنصار ،وكان قد قدم مكة حاجاً أو معتمراً ، وكان يسمى فى قومه الكامل (لجلده وشرفه ونسبه) وكان أيضا شاعراً . فقد كان سويد ابن خاله عبد المطلب جد رسول الله ﷺ ؛ فأمه هى ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم . فلما سمع به ــ رسول الله « ﷺ » دعاه إلى الله والإسلام (فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله ﷺ : وما الذى معك ؟ قال مجله لقمان ــ يعنى حكمة لقمان ــ فقال رسول الله ﷺ أعرضها على ، فعرضها عليه فقال : « إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله علىّ هو هدى ونور » فتلا عليه رسول الله « ﷺ » القرآن فدعاه إلى الإسلام . فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج . فإن كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بعاث)[2].

كما ذكر ابن هشام فى السيرة أن أبو الحيسر أنس بن رافع قدم مكة ومعه فتيه من بنى عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يريدون محالفة قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله ﷺ عرض عليهم الإسلام قائلاً : (« هل لكم خير مما جئتم له » فقالوا له ماذاك ؟ قال : « أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأنزل علىّ الكتاب » ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن) فاستحسن إياس بن معاذ الإسلام وقال لهم : (أى قوم ، هذا والله خير مما جئتم له)

(١) طبقات ابن سعد جـ ١ القسم الأول ص ٢٠١

(٢) ابن هشام : السيرة جـ ٢ ص ٣٦ ، دلائل النبوة للبيهقى جـ ٢ ص ١٦١ ــ ١٦٢ ، البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ١٤٧ ــ ١٤٨ . وبعاث : موضع كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج .

إلا أن أبا الحيسر أنس بن رافع أخذ حفنة من التراب فضربه بها فى وجهه ـــ أى وجه إياس بن معاذ ـــ ثم تركهم رسول الله « ﷺ » وعادوا إلى المدينة حيث قامت موقعة بعاث بين الأوس والخزرج فمات فيها إياس بن معاذ . وقد ذكر أنهم كانوا يسمعونه يهلل ويكبر ويحمد الله تعالى ويسبحه حتى مات[1] فما كانوا يشكّون أنه مات مسلماً[2].

ويذكر ابن كثير[3] يوم بعاث بقوله : (كان يوم بعاث ـــ وبعاث موضع بالمدينة ـــ كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل) .

وعن عائشة رضى الله عنها روى البخارى فى صحيحه (قالت : كان يوم بعاث يوما قدمّه الله لرسوله ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملأؤهم[5] وقتل سراوتهم وجرحوا قدمه الله لرسوله ﷺ فى دخولهم فى الإسلام)[4].

دعوة رسول الله ﷺ لستة نفر من الخزرج :

وتصوّر لنا كتب السيرة كيف آمن ستة من الخزرج برسول الله ﷺ ثم حملوا معهم إلى المدينة إرهاصات الدعوة الإسلامية حين عادوا إليها مؤمنين بالله ورسوله . فيذكر لنا ابن هشام عن ابن اسحق فى « السيرة » ذلك فيقول[5] :

(فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ﷺ ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله ﷺ وسلم فى الموسم الذى كفى فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً) ثم يستطرد ابن اسحق ليصور لنا الحوار بين رسول الله ﷺ وهؤلاء النفر من الأنصار فيقول :

---

(١) التهليل : يقول لا إله إلا الله ، والتكبير : يقول الله أكبر ، والتحميد : يقول الحمد لله ، والتسبيح : يقول سبحان الله .

(٢) ابن هشام السيرة جـ ٢ ص ٢٧ ، دلائل النبوة للبيهقى جـ ٢ ص ١٦٢ ـــ ١٦٣ .

(٣) البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٤٨ .

(٥) الملأ : أشراف الناس ورؤساؤهم الذين يرجع إلى قولهم .

(٤) صحيح البخارى جـ ٥ ص ٥٥ .

(٥) جـ ٢ ص ٣٨

(فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، قال : وكان مما صنع الله لهم به فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزّوهم[1] ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء ، قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانة نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : ياقوم تعلمون والله إنه للنبى الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا)[2] .

ويذكر ابن سعد فى طبقاته[3] أنهم وعدوا رسول الله ﷺ أن يلقوه فى العام القادم ثم يذكر ابن سعد أحوالهم وعددهم حيث اختلف فيه فالبعض يقول أن عددهم كان ثمانية نفر ، والبعض الآخر يقول كان عددهم ستة نفر ، فيقول ابن سعد (فاستجابوا لله ولرسوله وأسرعوا وآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسوا ، وكانوا والله أطول الناس ألسنة وأحدّهم سيوفا) .

ثم يذكر عددهم وأول من أسلم منهم بقوله : (فاختلف علينا أول من أسلم من الأنصار وأجاب فذكروا الرجل بعينه ، وذكروا الرجلين ، وذكروا أنه لم يكن أحد أول الستة ، وذكروا أن أول من أسلم ثمانية نفر... وذكروا أن أول من أسلم من الأنصار أسعد بن زراره، وذكوان بن عبد قيس خرجا إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فقال لهما قد شغلنا

---

(١) أى غلبوهم وقهروهم .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨ .

(٣) جـ ١ القسم الأول ص ٢٠٣ .

هذا المُصلّى عن كل شيء ـــ يزعم أنه رسول الله ـــ قال وكان أسعد بن زرارة وأبوالهيثم ابن التيهان متكلمان بالتوحيد بيثرب فقال ذكوان بن عبد قيس لأسعد بن زرارة حين سمع كلام عتبه دونك هذا دينك ، فقاما إلى رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم رجعا إلى المدينة ، فلقى أسعد أبا الهيثم بن التيهان ، فأخبره بإسلامه وذكر له قول رسول الله ﷺ ، وما دعا إليه فقال أبو الهيثم فأنا أشهد معك أنه رسول الله وأسلم[1] ثم عاد ابن سعد ايسول :

(ويقال إن رافع بن مالك الزرقى ومعاذ بن عفراء خرجا من مكة معتمرين فذكرا لهما أمر رسول الله ﷺ فأتياه ، فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، فكانا أول من أسلم وقدما المدينة ، فأول مسجد قرىء فيه القرآن بالمدينة مسجد بنى زريق)[2] .

أما عن الثمانية نفر فيذكر ابن سعد أنهم : (منهم من بنى النجار مُعاذ بن عفراء وأسعد بن زراره ، ومن بنى زريق رافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس ، ومن بنى سالم عُبادة بن الصامت وأبو عبدالرحمن يزيد بن ثعلبة ، ومن بنى عبدالأشهل أبو الهيثم بن التيهان حليف لهم من بلىّ ، ومن بنى عمرو بن عوف عويم بن ساعدة)

أما الستة نفر فذكر أنهم (من بنى النجار أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن عفراء ، ومن بنى رريق رافع بن مالك ، ومن بنى سلمة قطبة بن عامر بن حديدة ، ومن بنى حرام بن كعب عقبة بن عامر بن نابىء ، ومن بنى عبيد بن عدى بن سلمة ، وجابر بن عبد الله بن رئاب ، لم يكن قبلهم أحد)[3] .

وهذا الرأى الأخير هو الرأى الغالب المجمع عليه .

بيعة العقبة الأولى « الأثنى عشر رجلاً من الأنصار » :

ثم عندما أتى العام التالى لقى رسول الله ﷺ الأثنا ، عشر رجلاً من الأنصار حيث قدموا ليبايعوه ، وعرفت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى . فقد قام الرجال الستة السابق

---

(١) الطبقات جـ ١ القسم الأول ص ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) نفس المرجع ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ابن هشام السيرة جـ ٢ ص ٣٨ ، ٣٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ١٤٨ ـــ ١٤٩ .

ذكرهم ، بالدعوة للدين الجديد في المدينة حتى انتشرت الدعوة الإسلامية ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ .

حتي إذا قدم العام التالى قدم الاثنا عشر رجلاً وبايعوه بيعة العقبة الأولى (على بيعة النساء) وذلك قبل أن تفرض الحرب عليهم أما نص البيعة على لسان عبادة بن الصامت فى رواية عن ابن اسحق فهو كالتالى : (على ألا نشرك بالله شيئاً : ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء غفر وإن شاء عذّب)[1] .

ثم انصرف الرجال إلى المدينة حيث كان أسعد بن زرارة يصلى الجمعة بالمسلمين ، ثم ما لبث أن كتب الأوس والخزرج إلى النبى ﷺ ليبعث معهم مقرئا ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ، فأرسل لهم مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن زرارة ، وكان يصلى الجمعة بهم كما ذكرنا ثم خرج مع السبعين فى العام التالى الذين قدموا ليبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية (الكبرى) ، بعد أن انتشر الإسلام فى المدينة حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمين[2] .

بيعة العقبة الثانية « الكبرى »

وقد سميت بذلك « أى الكبرى » حيث تم فى « العقبة » بيعة سبعين رجلا من الأوس والخزرج ومعهم امرأتان من الأنصار بيعة الإيمان والعهد لرسول الله ﷺ بنصرته ودين الإسلام ، وأن لهم ما لرسول الله (ﷺ) وصحبه وعليهم ما عليهم وكان ذلك فى موسم الحج التالى بمكة .

---

(١) السيرة جـ ٢ ص ٤١ ، ٤٢ ، وهنا ينبغى لنا أن ننوه بأن بيعة رسول الله ﷺ للنساء كانت تتم دون مصافحته لهن بينما كان يصافح الرجال فلم تلمس يد رسول الله ﷺ يد امرأة أجنبية عنه قط .

(٢) الطبقات لابن سعد ص ٢٠٤ ، السيرة لابن هشام ، جـ ٢ ص ٤١ ، ٤٢ ، وانظر أيضا البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ١٠٥ وما بعدها ، ودلائل النبوة للبيهقى جـ ٢ ص ١٧٠ — ١٨٠ .

وفى هذا الصدد يذكر لنا ابن سعد حديثا عن الواقدى[1] قائلا : (لما حضر الحج مشى أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج وموافاة رسول الله ﷺ والإسلام يومئذ فاش بالمدينة ، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلاً أو رجلين فى خمر[2] الأوس والخزرج وهم خمسمائة . حتى قدموا على رسول الله ﷺ مكة ، فسلّموا على رسول الله ﷺ ، ثم وعدهم منى وسط أيام التشريق ليلة النَّفر الأول ، إذا هدأت الرِّجل أن يوافوه فى الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة حيث المسجد اليوم ، وأمرهم ألا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا ، قال فخرج القوم بعد هدوء يتسللون[3] الرجل والرجلان وقد سبقهم رسول الله ﷺ إلى ذلك الموضع ، معه العباس بن عبد المطلب ليس معه أحد غيره ...)[4] .

وفى السيرة عند ابن هشام[5] يذكر حديثاً لابن اسحق عن كعب بن مالك عن هذا الموقف ثم يستطرد فى الحديث قائلا : (... فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، إحدى نساء بنى مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى ، إحدى نساء بنى سلمة وهى أم منيع) .

ثم يمضى ابن هشام ليذكر لنا خطبة العباس عم النبى ﷺ فى الأنصار وكذلك مبايعتهم لرسول الله ﷺ فيقول على لسان كعب أيضا :

(قال : فإجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثّق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يامعشر الخزرج ، قال : وكانت العرب يسمون هذا الحى من الأنصار، والخزرج خزرجها وأوسها : إن محمداً منَّا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو فى عزّ من قومه ومنعه فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم

---

(١) كان ابن سعد صاحب « طبقات ابن سعد » هو كاتب الواقدى واسمه « محمد بن عمر بن واقد الأسلمى » .

(٢) خمر : جماعة (٣) يتسللون : ينصرفون فى خفاء (٤) الطبقات جـ ١ القسم الأول ص ٢٠٥ .

(٥) سيرة النبى جـ ٢ ص ٤٩

ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مُسلمُوه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عزّ ومنعه من قومه وبلده . قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت) .

(قال : فتكلم رسول الله ﷺ : فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغبَّ فى الإسلام ، ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » قال : فأخذ البراء ابن معرور بيده ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[1] فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة[2] ورثناها كابر عن كابر ، قال : فاعترض القول والبراء .. يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنا قاطعوها (يعنى اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم[3] ، أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم ») .

ويضيف كعب قائلاً : (وقد قال رسول الله ﷺ : « أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم » فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس)[4] وفى هذا الصدد يذكر ابن سعد[5] أن رسول الله ﷺ قد اختار بوحى من السماء النقباء الاثنى عشرة فيقول :

(... فقال رسول الله ﷺ : « إن موسى أخذ من بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجدن أحد منكم فى نفسه أن يؤخذ غيره فإنما يختار لى جبريل » فلما تخيرهم قال للنقباء : « أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومى » قالوا نعم .

---

(١) أزرنا : يعنى نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالأزار (٢) الحلقة : السلاح
(٣) أى ذمتى ذمتكم ، وحرمتى حرمتكم .
(٤) ابن هشام : السيرة جـ ٢ ص ٤٩ ــ ٥١
(٥) الطبقات جـ ١ القسم الأول ص ٢٠٧ وما بعدها .

فلما بايع القوم وكملوا ، صاح الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع ، يا أهل الأخاشب[1] هل لكم فى محمد والصُّباه معه قد أجمعوا على حربكم . فقال رسول الله ﷺ : « إنفضوا إلى رحالكم »[2] فقال العباس بن عباده بن نضلة يا رسول الله والذى بعثك بالحق لئن أحببت لنميلنّ على أهل منى بأسيافنا ، وما أحد عليه سيف تلك الليلة غيره . فقال رسول الله ﷺ : « إنا لم نؤمر بذلك فانفضوا إلى رحالكم »[2] فتفرقوا إلى رحالهم) .

ثم إن قريشاً تتبعت الأنصار فى شعبهم فجاء صحبه من أشراف قريش إليهم تسألهم عن حقيقة ما أشيع عن لقائهم برسول الله ﷺ فقالوا : (يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة وواعدتموه أن تبايعوه على حربنا ، وإيم الله ما حىّ من العرب أبغض إلينا أن تنشب بيننا وبينه الحرب منكم . قال فانبعث من كان هناك من الخزرج من المشركين يحلفون لهم بالله ما كان هذا وما علمناه ، وجعل ابن أبىّ يقول هذا باطل ، وما كان هذا وما كان قومى ليفتاتوا[3] علىّ بمثل هذا . ولو كنت بيثرب ما صنع هذا قومى حتى يؤامرونى . فلما رجعت قريش من عندهم رحل البراء بن معرور فتقدم إلى بطن يأجج ، وتلاحق أصحابه من المسلمين ، وجعلت قريش تطلبهم فى كل وجه ولا تعدوا طرق المدينة ، وحزبوا عليهم ، فأدركوا سعد بن عبادة ، فجعلوا يده إلى عنقه بنسعه[4] وجعلوا يضربونه ويجرّون شعره ، وكان ذا جُمَّه[5] حتى دخلوا مكة ، فجاء مطعم بن عدى ، والحارث بن أمية بن عبد شمس فخلصاه من بين أيديهم ، وائتمر الأنصار حتى فقدوا سعد بن عبادة أن يكروا إليه ، فإذا سعد قد طلع عليهم ، فرحل القوم جميعاً إلى المدينة)[6] .

---

(١) الأخاشب : جمع أخشب وهو كل جبل خشن غليظ .

(٢) أى إلى منازلكم .

(٣) ليفتاتوا : ليحدثوا فى الأمر شيئاً دون رأى .

(٤) النسعة : بالكسر سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره .

(٥) الجمّة : ما سقط على المنكبين من شعر الرأس .

(٦) طبقات ابن سعد جـ ١ القسم الأول ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ وانظر أيضاً دلائل النبوة للبيهقى جـ ٢ ص ١٨١ ــ ١٩٥ ، ابن كثير البداية والنهاية ج ١٥٨ ــ ١٦٥

وهكذا نرى أن الأنصار كانوا هم أول من حمل لواء الدعوة للإسلام بعد من آمن من أهل مكة ــ وكان معظمهم من المستضعفين ــ فبدأت بذلك الدعوة الإسلامية تأخذ عهداً جديداً ، وآفاقاً بعيدة كانت هذه أول خطواتها ، بدأت بذورها عند العقبة عند أطراف مكة ، لتنطلق إلى المدينة حيث أينعت وازدهرت وارتوت بماء التقوى والتضحية والجهاد ، وحيث ضربت جذورها فى الأرض فاشتدّ عودها واستوى على سوقه ، وازدهرت ثمارها ، فعادت مرة أخرى إلى مكة حيث هيمنت على المسجد الحرام وبيت الله منذ خلق الخلق ، كما هيمنت على مكة وما حولها لتنطلق إلى الجزيرة العربية كلها ثم العالم كله فيما بعد ، فتبنى الحضارة الإسلامية التى ظلت عدة قرون سيدة العالم المعاصر ، بعد أن صهرت فى بوتقتها الحضارات السابقة ، ومزجت الشعوب المختلفة لتقدم للإنسانية كلها نسيجاً جديداً ، وشعبا واحداً لا فضل فيه لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح ، يدين بالإسلام ، ويتكلم العربية ، ويتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار ، ويسجد لله تعالى وحده لا شريك له ولا إله غيره .

وقد أراد الله تعالى أن يختار للإسلام فى مهد دعوته جنوداً أقوياء هم الأنصار أهل حرب ، يحتضنون الإسلام ليمنعوا أعداءه الأقوياء من قريش وحلفائهم بعدّتهم وعتادهم ، الضعفاء بشركهم وكفرهم .

النقباء الاثنى عشر من الأنصار :

أما عن النقباء « الاثنى عشر » وهم كما ذكرنا آنفا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فقد ذكرهم ابن هشام فى السيرة قائلاً :[1]

(**من الخزرج** ــ فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى ــ أبو أمامه أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسعد بن الربيع بن أبى زهير بن مالك ابن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج ،

---

(١) ابن هشام : السيرة جـ ٢ ص ٥١ ــ ٥٣ ، وانظر أيضاً نفس المرجع بذكر الثلاثة والسبعين رجلاً من الأنصار الذين بايعوا رسول الله (ص) مع امرأتان هما : نسيبة بنت كعب (أم عمارة) ، وأسماء بنت عمرو (أم منيع) ص ٦٣ ــ ٧٥ . وانظر أيضاً ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٦٥ ــ ١٦٨ .

وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو ابن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضْب بن جشم بن الخزرج ، والبراء ابن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن مسلمة ... بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن كعب ابن غنم بن كعب ... بن جشم بن الخزرج ، وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن فهر بن ثعلبة .... بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

ومن الأوس : أسيد بن حُضير بن سماك بن عتيك من بنى عبد الأشهل بن جشم ابن مالك بن الأوس ، ومسعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحّاط من بنى مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر (وقيل : زنير) بن زيد ابن أميه من بنى مالك بن الأوس[1] .

نزول الأمر إلى النبى ﷺ بالقتال :

لم يؤذن لرسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة « الكبرى » بالحرب بل كان يؤمر بالصبر على الأذى والدعاء إلى الله ، وكانت قريش قد إضطهدت المسلمين فى مكة حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوهم من بلادهم فهرب من هرب منهم فراراً بدينهم إلى أرض الحبشة ، ومنهم من هاجر إلى المدينة .

ثم أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ بالقتال ، يقول فى ذلك ابن هشام فى السيرة :[1]

(فكانت أول آية أنزلت فى أذنه له فى الحرب وإحلاله له الدماء ، والقتال لمن بغى عليهم ــ فيما بلغنى عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ــ قول الله تبارك وتعالى : (٢٢ : ٣٩ ــ ٤١) : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات**

---

(١) جـ ٢ ص ٧٥ ــ ٧٦ .

ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ ... ثم أنزل الله تبارك وتعالى (٢ : ١٩٣) : ﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنة [١] . ﴾ أى حتى لايفتن مؤمن عن دينه ﴿ ويكون الدين لله ﴾ [٢] أى : حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره) .

فلما أذن الله تعالى لرسوله ﷺ فى الحرب وبايعه الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن تبعه أمر رسول الله (ﷺ) وأصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه من المسلمين بالخروج والهجرة إلى المدينة والالتحاق بإخوانهم من الأنصار وقال لهم (إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها) [٣].

هذا وقد ورد حديث عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ــ وهو يومئذ بمكة للمسلمين (قد رأيت دار هجرتكم ، أريت سبخه ذات نخل بين لابتين) [٣] . كما ورد فى البخارى حديث لرسول الله ﷺ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ (لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار وقال أبو موسى عن النبى (ﷺ) « أريت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخيل ، فذهبت وأهلى إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هى المدينة أو يثرب » [٤].

---

(١) سورة البقرة ١٩٣ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ١٦٨ .

(٤) صحيح البخارى جـ ٥ مج ٢ ص ٧٠ ــ ٧١ (باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة) .

الهجرة إلى المدينة

ثم خرج المسلمون متتابعين مهاجرين إلى المدينة ، بينما بقى رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن الله له بالهجرة[1] فنزل المهاجرين على دور الأنصار فآووهم ونصروهم وواسوهم ولم يبق بمكة منهم إلا رسول الله ﷺ ، وأبو بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، أو مريض ، أو محبوس ، أو ضعيف عن الخروج أو معذب[1] .

ثم ما لبثت قريش أن اجتمعت فى دار الندوة تتشاور ، حتى أشار عليهم أبو جهل بأن يجمعوا من كل قبيلة من قريش غلاما قويا يعطوه سيفا صارما فيضربون رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل ، إلا أن الله تعالى كشفهم لرسوله فجاءه جبريل يخبره بخبرهم ويأمره ألا ينام فى مضجعه تلك الليلة ، فبات على بن أبى طالب « رضى الله عنه » فى فراشه والتفّ فى بردة الحضرمى الأحمر ، ممّوها المشركين .

ثم قدم رسول الله ﷺ إلى أبى بكر فأخبره بالأمر بالهجرة . حتى إذا كانت ليلة الهجرة خرج رسول الله ﷺ من داره ، وكانت قريش تبيت عند بابه ، بل كانوا يتجسسون عليه من صير الباب ، فلما خرج عليهم أخذ حفنة من الحصى الصغيرة وذرّها على رؤوسهم وهو يتلو ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾ حتى بلغ ﴿ **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ (يس ١ ــ ١٠) فأعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم . فلم يروه . ثم ذهب إلى أبى بكر الصديق فى داره حيث خرج معه إلى غار ثور فدخلاه ، فنسجت العنكبوت خيوطها واعشاشها بأمر الله تعالى على بابه ، كما أمر الله تعالى حمامتين وحشيتين أن تسكنا فم الغار ، فموّهت قريش التى تتبعتهما بعد أن فشلت فى العثور على النبى فى بيته وكذلك الصدّيق ، فلما رأى رجال قريش ذلك انصرفوا ولم يحاولوا الدخول فيه ، وبذلك نجّى الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله وحبيبه ، مع الصدّيق أبى بكر من أذى قريش ، لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

---

(١) سنذكر الهجرة « بمشيئة الله » بالتفصيل فى الجزء الخاص بالمهاجرات فى سبيل الله . أما هنا فسوف نتحدث عنها باختصار شديد .

(٢) طبقات ابن سعد جـ ١ القسم الأول ، ص ٢١٠ ــ ٢١١ ، ابن هشام السيرة جـ ٢ ص ٧٥ وما بعدها . وانظر أيضا البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٦٨ ــ ١٧٧ .

وفى خلال مكوثهما فى الغار كانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام والشراب ، كما كان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق يأتى بغنم لأبى بكر يحتلبه ويشرب لبنه مع رسول الله ﷺ ، بينما ظل عبد الله بن أبى بكر يبيت عندهما الثلاث ليال التى قضياها فى الغار ، حتى إذا انصرمت ، استأجر أبو بكر رجلا من بنى الديل هاديا ماهرا بالطرق يسمى عبد الله بن أريقط ظل على شركه ولكنهما أمناه فارتحلا معه ومعهما عامر بن فهيرة.

وفى الطريق للمدينة عرّجوا على خيمتى وأم معبد الخزاعية[1] حيث تزودوا بالطعام والشراب ثم استأنفوا المسير إلى المدينة حيث استقبلوا استقبالا حافلا من المسلمين من الأنصار والمهاجرين الذين سبقوا رسول الله ﷺ وصحبه إليها .

دخل رسول الله ﷺ وصحبه فى ثياب بيض من ثياب الشام ، وكان طلحة ابن عبيد الله قد أهداهما إياها ـــ وكان قد قدم بها من الشام ـــ فلبسها « ﷺ » وأبو بكر الصديق ودخلا بها قباء يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول[2] .

وهنا نذكر حديثا لابن عباس رضى الله عنه قال (كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل الله تعالى : ﴿ **وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا** ﴾ قال فهاجر إلى المدينة[3] .

وقد ذكر أن أول من رأى رسول الله ﷺ رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته ـــ وكان يعلم انتظار المسلمين لقدومه ـــ قائلا : « يابنى قيلة هذا جدكم قد جاء » .

---

(١) سوف نذكر ذلك بالتفصيل فى باب المهاجرات فى الجزء الخاص بذلك من السلسلة بمشيئة الله .

(٢) قيل ذلك ، وقيل قدمها لثمان خلون من ربيع الأول ، والرأى الأول هو الغالب.. هذا وقدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة بهذه الثياب الجديدة الجميلة لها مغزى عند استقبال الأنصار له كقائد وإمام للمسلمين ونبى له دعوة عالمية بالتوحيد لله بين البشر أجمعين وغير البشر أيضا ورسول الله ﷺ يعلمنا دائما أن نحرص على طهارة ونظافة ملابسنا وخاصة لمن كان قدره للدعوة ، كما أنه رمزاً لاستقبال الجديد بطهارة الباطن والظاهر دائماً وكان هذا دأبه ﷺ فى الأعياد أيضا .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى جـ ٢ ص ٢٤٢ .

وقد اختلط الأمر على من لم يرى رسول الله ﷺ من قبل فخلطوا بينه وبين الصديق ، ولكنهم عرفوه حينما رأوا الصديق يظلّه « رضى الله عنه » بردائه حين يزول الظلّ عن رسول الله ﷺ .

نزل رسول الله ﷺ على بنى عمرو بن عوف (فى قباء) يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس حيث أسس مسجده الذى ذكر فى القرآن الكريم أنه أسس على التقوى من أول يوم ، ثم ركب فى يوم الجمعة فمر على بنى سالم حيث صلى فيهم الجمعة فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بمن كان معه من المسلمين وهم مائة على قول ابن سعد . حيث قدم مستقبلا بيت المقدس ، فلما رأته اليهود صلى إلى قبلتهم تذاكروا بينهم أنه النبى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل .

ثم ركب « ﷺ » من بنى سالم فقالوا : يارسول الله فينا العدد والعدة والمنعة يقول فى ذلك مجمع بن يزيد : « مكث رسول الله فينا اثنتين وعشرين ليلة وكانت الأنصار قد اجتمعت فتلقوه قبل أن يركب من بنى عمرو بن عوف فمشوا حول ناقة لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحًا على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيماً له ، وكلما مرّ بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول رسول الله ﷺ دعوها فإنها مأمورة وإنما أنزلت حيث أنزلنى الله تعالى فلما انتهت به الناقة إلى باب بنى أيوب بركت على الباب فنزل فدخل بيت أبى أيوب فنزل عليه فأنزله فى أسفل بيته وظهر أبو أيوب إلى أعلى البيت ، فكان أبو أيوب منزله فوق رأس النبى ﷺ فلم يزل ساهراً حتى أصبح فأتاه فقال يارسول الله إنى أخشى أن أكون قد ظلمت نفسى أنى كنت ساكنا فوق رأس النبى ﷺ فينثر التراب من وطء أقدامنا عليك ، وإن أطيب لنفسى أن أكون تحتك فى أسفل البيت فقال النبى ﷺ : أسفل أرفق بنا وبمن يغشانا ، فلم يزل أبو أيوب يتضرع إليه حتى انتقل النبى ﷺ إلى العلو وأقام رسول الله ﷺ ساكنا فى بيت أبى أيوب سبعة أشهر ينزل عليه القرآن ويأتيه جبريل بوحى السماء حتى ابتنى رسول الله ﷺ مسجده ومسكنه)[1] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ ١ القسم الأول من ص ٢١٢ ــ ٢٢٤ .
دلائل النبوة للبيهقى جـ ٢ ص ١٩٥ ــ ٢٤٥ .
ابن هشام : السيرة جـ ٢ ص ٩٢ ــ ١١٦

بناء مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة

بنى رسول الله ﷺ مسجده فى المدينة فى المكان الذى بركت فيه ناقته القصواء ، وكان مربداً[1] للغلامين اليتيمين سهل وسهيل ، وكانا فى حجر أسعداً بن زرارة [أى كان مسئولاً عن تربيتهما ورعايتهما] فقال رسول الله ﷺ حين بركت الناقة « هذا إن شاء الله المنزل » ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما على المربد ليتخذوه مسجداً ، فقالا : « لا بل نهبه لك يارسول الله » فرفض النبى ﷺ ذلك واشتراه منهما بعشرة دنانير . وكان حوله جدار كان أسعد بن زرارة قد بناه ليصلى بأصحاب رسول الله ﷺ فيه ويجمّع فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ .

فأمر رسول الله ﷺ بالنخل الذى فى الحديقة فقطع ، وأمر باللبن فضرب ، وكان فى المربد قبور جاهلية ، فأمر رسول الله ﷺ بنبشها ثم جمع عظامها فى مكان آخر ثم جعل قبلته إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب : باباً فى مؤخره ، وباباً يقال له باب الرحمة ، وباب ثالث يدخل فيه الرسول ﷺ ، وجعل عمده من الجذوع ، وسقفه من الجريد ثم بنى بيوته بجوار المسجد ، ثم ما لبث أن أمره الله تعالى بأن يتجه بقبلته إلى الكعبة الشريفة وكان النبى ﷺ يتمنى ذلك . وقد حدث هذا التحول بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهراً من الصلاة فيه وذلك حين نزل قول الله تعالى فى سورة البقرة / آية ١٤٤ :

﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

أما عن بناء المسجد فقد قام رسول الله ﷺ بنفسه ببناءه مع صحابته ليلقنهم درساً فى العمل فكان ينقل اللبن بنفسه وهو يقول مع أصحابه داعيا الله تعالى :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فأرحم الأنصار والمهاجرة[2]

---

(١) المربد : فضاء وراء البيوت يرتفق فيه ، وأهل المدينة يسمون المكان الذى يجفف فيه التمر لينشف مربداً . انظر لسان العرب جـ ٣ ص ١٥٥٦ مادة [ربد] .

(٢) صحيح البخارى جـ ٥ ص ٧٨ ، ابن هشام السيرة جـ ٢ ص ١١٤

البيهقى دلائل النبوة جـ ٢ ص ٢٥٨ ــ ٢٦٣ ، الطبقات لابن سعد جـ ١ القسم الثانى ص ٣ ــ ٧

كما ذكر ابن هشام قول المسلمين :

لئن قعدنا والنبى يعمل لذاك منّا العمل المُضلَّل(١)

وهكذا بدأت نواة الأمة الإسلامية ، ووضع أساس دولة الإسلام فى المدينة المنورة حينما أسس رسول الله ﷺ مسجده . فكان رمزاً لقيام المسلمين بأداء شعائرهم فى حرية تامة دون خوف من بطش عدو قوى ظالم كما كان يحدث فى مكة . فأبدل الله رسوله والمسلمين من بعد خوفهم أمناً ، ومن بعد ضعفهم قوة ، ومن بعد صبرهم وحيرتهم داراً آمنة وصحبة خيّرة .

وهنا ينبغى لنا أن نشير إلى أن المسجد الذى أقامه رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، لم يكن داراً للعبادة ، تقام فيه الصلاة وتتلى آيات القرآن الكريم فحسب ، وإنما كان أيضاً هو المكان الذى يلتقى فيه رسول الله ﷺ بالمسلمين ليلقى عليهم أحكام دينهم ، وتشريع ربهم ، كما كانت تدار فيه سياسة الدولة ، وهو أيضا ملتقى المسلمين فى الجمع والأعياد ، وهو المكان الذى تعلن فيه الحرب ، وتعقد فيه المعاهدات ، وتقام فيه عقود الزواج ، ويجمع فيه المسلمين لكل أمر مهم كما كان أول دار للشورى بين المسلمين ورسول الله ﷺ فكان المسجد فى حد ذاته مدرسة تُخرّج أجيالاً من المسلمين يسيرون على نهج الله وسنة رسوله ، فتبنى فيه شخصياتهم ، وتُهذب نفوسهم ، وتعلمهم شرائع دينهم وأمور دنياهم . فهو يمثل — كما نسميه اليوم — السلطة التشريعية ، والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية إلى جانب كونه مدرسة لتعليم المسلمين أصول دينهم ودنياهم . ومن هنا نفهم دور المسجد الخطير فى حياة المسلمين .

وفى المدينة المنورة بدأت علاقات جديدة داخلية وخارجية ، أما العلاقات الداخلية فتمثلت فى علاقات المسلمين بينهم وبين ربهم ، وبينهم وبين بعضهم البعض مهاجرين وأنصاراً ، وبينهم وبين الجماعات غير المسلمة التى تعيش معهم فى المدينة .

وأما العلاقات الخارجية فقد تمثلت فى علاقات المسلمين بقريش وغيرها من القبائل التى كانت تترصد لهم وتحاول التحرش بهم ، وكذلك الحروب والغزوات التى قام

---

(١) ابن هشام : المرجع السابق

رسول الله ﷺ بتوجيهها خارج المدينة ، إما للهجوم أو للدفاع عن كيان الأمة الإسلامية ضد قريش وحلفائها وغيرهم .

ومن هنا بدأت سياسة جديدة لرسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة ساعد عليها دور الأنصار فى الدعوة الإسلامية ، وإيمانهم بالله ورسوله ، وتلقيهم إخوانهم المهاجرين بكل الحب والترحاب وتفانيهم بأرواحهم وأموالهم فى سبيل الدعوة للإسلام مما مهد لقيام أمة تسود العالم فيما بعد .

تأسيس الدولة الإسلامية فى المدينة

بدأت سياسة رسول الله ﷺ فى المدينة تأخذ منطلقاً جديداً، فبعد أن كانت جماعة المسلمين مستضعفة فى مكة ، أصبح المسلمون مهاجرين وأنصاراً هم نواة الأمة الإسلامية التى سيطرت على العالم فيما بعد شرقاً وغرباً .

أما كيف وصل الإسلام إلى هذه المرحلة ، وهذه القوة فقد كان بفضل الله أولاً ثم بفضل سياسة رسول الله ﷺ الحكيمة فى المدينة ، والتى اعتمدت على نقطتين أساسيتين :

النقطة الأولى : نشر الدعوة الإسلامية .
النقطة الثانية : توحيد الجزيرة العربية تحت مظلة الإسلام .

وكان على رسول الله ﷺ أن يقوم بجهد جبار لم يتوان لحظة واحدة عن العمل الدائب خلال الأعوام العشر التى قضاها ﷺ فى المدينة ، والتى حقق خلالها المعجزة التى مازال التاريخ يفخر بها ، وهى كيف تم بناء الأمة الإسلامية فى هذه الفترة القصيرة ؟ .

بل كيف استطاع رسول الله ﷺ أن يجمع شتات القبائل العربية المتنافرة فى أنحاء الجزيرة العربية فى نسيج واحد أساسه التوحيد ، ثم الإيثار والتعاون التام بين أفراد ذلك المجتمع ليتحول من الولاء للقبيلة إلى الولاء للإسلام وللنبى ﷺ ثم للإمام فيما بعد رمزاً لوحدة المسلمين .

ففى خلال عقد واحد « عشر سنوات » تضافر فيها الأنصار مع المهاجرين والتحموا بهم قام رسول الله ﷺ تحقيقاً لهذه السياسة بعدة خطوات بدأها كما يلى :

أولاً ــ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار : والتى ظلت حتى نسخها الله تعالى فى كتابه العزيز[1] . ومن هذه المؤاخاة تمت الوحدة الإسلامية حتى كان الأنصارى يقدم زوجته وأمواله للمهاجر ، فلما نسخت ظلت الأخوة فى الإسلام قائمة بالتلاحم والود والرحمة والإيثار وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه .

وبذلك نظمت صفوف المسلمين فى المدينة . كما كان للزكاة التى فرضها الإسلام فضل كبير فى وجود الود بين المسلمين والتكافل الاجتماعى الذى أرضى المهاجرين وعوّضهم بعض الشىء عما فقدوه فى مكة من ديار ومتاع وأهل وأحباب .

ثانيا ــ المعاهدة بين المسلمين ويهود المدينة : حيث كتب رسول الله ﷺ عهداً بينه والمسلمين من ناحية ، وبين يهود المدينة (بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة) من ناحية أخرى ليكونوا جميعا وحدة واحدة كأهل كتاب ضد المشركين من قريش وغيرهم .

وتعتبر هذه المعاهدة (معاهدة دفاع مشترك) قصد بها رسول الله ﷺ ثلاثة أمور هى :

١ ــ تحييد اليهود . ٢ ــ ألا يقيم معهم حرباً .

٣ ــ أن يشركهم فى حرب تأتى من الخارج .

إلا أن رسول الله ﷺ اضطر إلى محاربتهم وإجلائهم عن المدينة بعد نقضهم للعهد ، قبيلة تلو الأخرى ، وبعد محاولتهم قتل رسول الله ﷺ ، والقضاء على الإسلام والمسلمين .

ثالثاً ــ إخضاع عرب الحجاز للإسلام والمسلمين : وكان ذلك بعد سياسة رسول الله ﷺ الحكيمة فى تنظيم صفوف المسلمين بالمؤاخاة ثم بالمعاهدة مع اليهود . فوجه رسول الله . جهده لنشر الدعوة الإسلامية بادئاً باستمالة القبائل المقيمة فى الطريق بين

---

(١) قال تعالى فى سورة الأنفال ــ ٧٥ ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** ﴾ وذلك بعد غزوة بدر ، فرجع كل إنسان إلى نسبه وذوى رحمه .

مكة والمدينة ليناوش قريش فى تجارتها ويقف فى وجهها ، ثم قام رسول الله ﷺ بتوجيه عدة غزوات وسرايا لقريش والقبائل التى تؤازرها وتؤيدها . وكان يهدف من وراء ذلك أن يجعل مكة مركزاً للإسلام كما كانت مركزاً دينيا لقبائل العرب يحجون إليها دائما .

وفى خلال العقد الذى قضاه ﷺ بالمدينة ـــ عشر سنوات ـــ تم لرسول الله ﷺ وللمسلمين عدة غزوات وسرايا بلغت سبعة وعشرين غزوة ، وسبعة وأربعين سرية . وفى هذا الصدد يقول لنا الواقدى[1] (فكانت مغازى النبى ﷺ التى غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، وكان ما قاتل فيها تسعاً : بدر القتال ، وأُحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف . وكانت السرايا سبعا وأربعين سرية ، واعتمر ثلاث عمر ، ويقال قد قاتل فى بنى النضير ، ولكن الله جعلها له نفلا خاصاً . وقاتل فى غزوة وادى القرى فى منصرفة عن خيبر ، وقتل بعض أصحابه ، وقاتل فى الغابة ...) .

وبعد عدة غزوات كما ذكرنا : بدر ، وأُحد ، ثم الأحزاب ، ثم صلح الحديبية فى العام السادس من الهجرة الذى أعلنت فيه الهدنة بين قريش والمسلمين عشر سنوات ، ثم نقض قريش للعهد ، ثم فتح مكة فى العام الثامن من الهجرة حيث سيطر رسول الله ﷺ والمسلمون على المسجد الحرام .

ثم خرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه لإخضاع حلفاء قريش وأعداء الإسلام الذين تأهبوا لقتاله فقضى عليهم قبل أن يهاجموه ، وهم قبائل هوزان ، وثقيف ، وبذلك قضى ﷺ على معاقل الشرك فى الجزيرة العربية .

رابعاً ـــ رسل رسول الله ﷺ لسائر جزيرة العرب وخارجها :

ثم أرسل ﷺ رسله إلى قبائل العرب وأمراء النواحى وملوك الدول المعاصرة له مما مهد السبيل لتوحيد جزيرة العرب دينيا وسياسياً . ولذلك تعتبر هذه نقطة هامة فى تاريخ الإسلام .

فأرسل ﷺ إلى أمراء البحرين ، وعمان ، واليمامة ، وحاكم غسان ، وبعض أمراء اليمن ، كما أرسل لملوك وحكام الدول المجاورين لجزيرة العرب ، فأرسل لنجاشى الحبشة ،

(١) المغازى جـ ١ ص ٧ ـــ ٨ .

وقيصر الروم « هرقل » ، وكسرى فارس ، وحاكم مصر « المقوقس » ، كما أرسل إلى « تبوك » فى جنوب الشام .

وهذا مايؤكد عالمية الإسلام لقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ (١) .

وقد تم التصالح فى بعض هذه الإمارات على الإسلام أو الجزية مثل ما حدث فى « أيلة » ، وبعض بلاد الشام ، واليمن .

خامساً ــ الوحدة الدينية والسياسية لجزيرة العرب :

وقد تم ذلك لرسول الله ﷺ بعدعودته من تبوك فى العام التاسع من الهجرة ، حيث أرسلت القبائل العربية وفودها تعلن إسلامها وخضوعها حتى عرف هذا العام بعام الوفود ، فكان رسول الله ﷺ يكرمهم ويرسل معهم من يعلمهم شرائع دينهم وينشر الإسلام بينهم .

وهنا ينبغى لنا أن نشير إلى أن رسول الله ﷺ لحبّه للأنصار وللمدينة التى آوته هو وصحبه من المهاجرين قد قرر ــ رغم حبه الشديد لمكة ــ أن يعود إلى المدينة مرة أخرى بعد أن تم له فتح مكة وأخضع القبائل التى حولها حيث مرض ، وتوفاه الله ، ودفن فى المدينة فى العام الحادى عشر من الهجرة وذلك ليكرّم الذين مدّوا أيديهم إليه ولتكون « المدينة المنورة » على مر العصور مزاراً للمسلمين ، وفى أعماق قلوبهم ومشاعرهم ، تهفو الأرواح إليها بعد المسجد الحرام بمكة تكريما لرسول الله ﷺ وصحبه الأجلاء الذين آووه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه فنشهد لك يارسول الله أنك قد بلغّت الأمانة . وأديت الرسالة . ونصحت الأمة .

وهنا نتذكر عهد رسول الله ﷺ للأنصار فى بيعة العقبة الكبرى حين خشوا أن يتركهم رسول الله ﷺ بعد أن يظهره الله على أعداءه فقال لهم (بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) ، ويكفى المدينة فخراً أن ارتبط اسمها برسول الله ﷺ كما دفن فيها هو وأزواجه وبناته ، ووزيريه الجليلين ؛ أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وجلّة صحابته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

(١) (سورة ص / ٨٧ ، ٨٨)

كما أرّخ التاريخ الإسلامي مرتبطاً بهجرة رسول الله ﷺ إليها فكانت بداية التاريخ الهجرى هو بداية دخوله ﷺ المدينة المنورة حيث تكونت نواة الأمة الإسلامية وظل القرآن الكريم والوحى ينزل فيها بلا انقطاع منذ دخلها رسول الله ﷺ وحتى لقى ربه ، ينظم أمور المسلمين من عبادات ومعاملات ، لتكون دستوراً للأمة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة .

---

(١) للاستزادة من هذا الموضوع انظر المراجع التالية :

ابن هشام : السيرة جـ ٢ ص ١١٩ وما بعدها .

ابن سعد : الطبقات جـ ١ القسم الثانى جـ ٣ وما بعدها .

ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٢٤ وما بعدها ، صحيح البخارى جـ ٥ .

الواقدى : المغازى ٣ جـ .

حسين مؤنس : دراسات فى السيرة النبوية .

جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية الإسلامية ص ٧٧ - ١٤٨ .

محمد الطيب النجار : دراسات فى السيرة النبوية ص ١٢٥ ومابعدها .

مناقب الأنصار

أما عن مناقب الأنصار ، وهم الذين سماهم الله تعالى الأنصار لأنهم نصروا دين الله ، ورسوله ، ومن تبعه من المهاجرين .. فقد وردت فى شأنهم آيات كريمة ، وأحاديث شريفة منها قول الله تعالى فى سورة التوبة آية (١٠٠) :

﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة الحشر آية (٩) :

﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

كما ورد فى البخارى حديثاً للبراء رضى الله عنه يقول :

(سمعت النبى ﷺ أو قال النبى ﷺ الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله)[1] .

كما ورد فى البخارى أيضا حديثاً عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار)[2] وأيضاً أورد البخارى فى باب « قول النبى « ﷺ » للأنصار أنتم أحب الناس إلىّ » أن أنس رضى الله عنه قال رأى النبى ﷺ النساء والصبيان مقبلين قال حسبت أنه قال من عرس ، فقام النبى ﷺ ممثلا فقال : اللهم أنتم من أحب الناس إلىّ إلى أن قالها ثلاث مرات)[3] .

---

(١)صحيح البخارى جـ ٥ ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) هكذا ورد النص ــ نفس المرجع

كما جاء فى « موطأ مالك » دعاء رسول الله ﷺ للمدينة وأهلها . فقد ذكر عن أنس بن مالك حديثاً أن رسول الله ﷺ قال :

(اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم) يعنى أهل المدينة[1] وأورد أيضاً الموطأ حديثاً لأبى هريرة رضى الله عنه قال :

(كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مُدّنا . اللهم إن ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإنى عبدك ونبيك ، وأنه دعاك لمكة ، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر)[2].

كما ورد فى اللؤلؤ والمرجان[3] حديثا عند البخارى ومسلم عن زيد بن الأرقم عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال :

« حزنت على من أصيب بالحرَّة فكتب إلىّ زيد بن أرقم ، وبلغه شدة حزنى ، يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار » .

كما ورد أيضاً حديث لأبى أسيد رضى الله عنه[4] قال :

قال رسول الله ﷺ (خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحرث بن خزرج ، ثم بنو ساعده ، وفى كل دور الأنصار خير) . وقد ورد الحديث عند البخارى ومسلم .

كما ذكر البخارى حديثاً عن أنس بن مالك[5] رضى الله عنه يقول :

قال النبى ﷺ للأنصار إنكم ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقونى وموعدكم الحوض) .

---

(١) موطأ مالك كتاب الجامع ص ٧٧٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل الأنصار رضى الله عنهم . وعند البخارى (باب فضل دور الأنصار) .

(٤) باب فى خير دور الأنصار رضى الله عنهم .

(٥) صحيح البخارى جـ ٥ باب قول النبى ص للأنصار اصبروا حتى تلقونى فى الحوض .

كما ورد فى البخارى[1] حديثاً عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أو قال أبو القاسم ﷺ (لو أن الأنصار سلكوا واديا أو شعباً لسلكت فى وادى الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار فقال أبو هريرة ما ظلم بأبى وأمى آووه ونصروه) كما جاء أيضا فى صحيح البخارى حديثا[2] عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ لا عيش إلا عيش الآخرة فأصلح الأنصار والمهاجرة » وقيل من وجه آخر « فاغفر للأنصار والمهاجرة » .

وفى موطأ مالك كتاب الجامع[3] حديثا لعبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ يقول (لا يصبر على لأوائها وشدتها إلا كنت شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة) .

كما ورد فيه حديث لجابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال (إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها)[4] .

وجاء أيضا فى الموطأ[5] حديث عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ طلع له أُحد فقال (هذا جبل يحبنا ونحبه اللهم إن ابراهيم حرّم مكة وأنا أحرّم ما بين لأبتيها) .

وغير ذلك من الأحاديث التى وردت فى فضل الأنصار وفضل المدينة الذين استقبلوا رسول الله ﷺ ، النبى المصطفى وصحابته خير استقبال ، ونصروه وصحبه ، وتقاسموا معهم الحياة بعد أن آمنوا خير إيمان بالله ورسوله فكانوا من ﴿ **السابقون السابقون** ﴾ غفر الله لهم وللصحابة جميعاً ، وغفر لنا وجعلنا لهم تابعين على نهج الله وسنة رسوله ﷺ إلى يوم الدين .

---

(١) صحيح البخارى جـ ٥ باب قول النبى ص لولا الهجرة لكنت من الأنصار .

(٢) المرجع السابق باب دعاء النبى ﷺ أصلح الأنصار والمهاجرة ، وأنظر أيضاً الجزء الخاص ببناء مسجد رسول الله ﷺ فى المدينة من نفس الباب .

(٣) ما جاء فى سكنى المدينة والخروج منهم ص ٧٧٧ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) ما جاء فى تحريم المدينة ص ٧٧٨